

الموظيفة السهلة

بقلم : جو فارنا

ترجمها من الفرنسية : أ.د. حامد طاهر

أسكن في قلب مدينة القاهرة . شارع المدابغ . منذ وقت ما , أعتقد أن الشارع قد تغير اسمه (أصبح الآن شارع شريف) . لماذا ؟ لنا أدري . لكن الناس استمروا يسمونه المدابغ . هذا أكثر راحة

كل يوم أغادر المنزل في الساعة الثامنة . أحياناً في الثامنة والرابع . عندما أصل إلى الوزارة , لنا يكون على سوى نصف ساعة فقط تأخير ! آخرون يكون عليهم ساعة . الرؤساء أنفسهم لنا يصلون قبل الساعة الحادية عشرة .

في الشارع , وفي مواجهة المنزل , يوجد " بار أمريكياني " . في العادة عندما أخرج في الصباح . تكون واجهته الحديدية مغلقة . الواجهة كلها سوداء .

وفي بعض الأحيان , يخرج المجرسونات صناديق الزجاجات الفارغة . أما اليوم فالواجهة الحديدية نصف مرفوعة . وهناك ورقة من الكرتون معلقة في الواجهة . لم أرها بالأمس . اقتربت . أقرأ :

"مطلوب شخص حسن المظهر لوظيفة سهلة بأجر مجز ."

إعلان مضحك . أعود مسرعاً إلى الرصيف . إنني كثيراً ما أتجول في الصباح . أقوم برياضة المشي , وخاصة عندما يكون الجو ملائماً . لنا ينبغي أن أصل إلى عملي متأخراً عن العادة . وظيفة سهلة . لابد أنها مثيرة . أجر مجز !

كم يمكن أن يدفعوا لهذه الوظيفة ؟ أعود ناحية البار . الأمر يستأهل المحاولة .

المصالة طويلة . ضيقة . خالية تماماً . إنها مقبضة . بار فارغ . كل هذه الزجاجات التي تلمع في الأضواء , تبدو الآن رمادية , ومتسخة . وهذه المنضدة الطويلة الفارغة . لنا أحد ينحني فوقها . وهذه الثريات العالية جداً مضحكة . هناك شخص على الخزينة . سيدي .

-أريد أن أرى صاحب المحل.

تجيب السيدة :

-أنا صاحبة المحل .لأي موضوع ؟

-بخصوص الإعلان.

السيدة تتفحصني . ترمقني من الرأس إلى القدم.

-يبدو عليك فعلاً أنك حسن المظهر . هل تتحدث الإنجليزية والفرنسية والعربية ؟ أنا أعتقد أنه يمكن أن تشغل الوظيفة .

-والعمل يا مدام .. مم يتكون بالضبط ؟

-إدارة الاسطوانات ..

لقد قالوا لي دائماً إنني حسن المظهر ، وقد انتهيت بتصديق ذلك . لكن إدارة الاسطوانات ؟!

-أنا لا أفهم تماماً .

تشرح لي السيدة :

-عندنا هنا مانياتيفون (جهاز اسطوانات) كهربائي . ومهمتك أن تختار الاسطوانات . وتضعها على الجهاز عندما يعمل ..
الواقع أنه بالنسبة لوظيفة سهلة ، ليس هذا صعباً على الإطلاق . لكنني نسيت سؤالاً هاماً . وبقدر كبير من التعثر ، سألت :

-وبالنسبة للأجر يا مدام ؟

-خمسة عشر جنيهاً .. خمسون قرشاً في اليوم . هذا أجر طيب . ستعمل من الخامسة عصرًا حتى العاشرة مساءً . كل أيام الأسبوع . ومن النادر جداً أن ترحل بعد العاشرة مساءً . إنه عمل سهل . ثم إنه سيكون لديك عداوةً على المرتب الشهري: بقشيش الزبائن !

يؤسفني هذا . أحس بالعار .

-أشكرك: سأفكر في الأمر . إلى اللقاء يا مدام .

ها أنا في الشارع . في اتجاه الوزارة . منذ خمس عشرة سنة وأنا موظف . مرتبي لا يتجاوز عشرة جنيهات وعدة قروش بالضبط . لأنه ينبغي أن نحسب الاستقطاعات والضرائب والإيجار وكل المصاريف الأخرى . إنني أعمل من الساعة الثامنة صباحاً إلى الساعة الثانية ظهراً . حقيقة لا أقوم بعمل كبير . لكنني لست أحمق . إنني محترم . يلزمني مع ذلك أكثر من عشرة جنيهات في الشهر . أنا محترم في الظاهر فقط . أعنتي كثيراً بمدايسي . هذا حق . قمصاني قلبت ياقاتنها وأكمامها . حتى ذلك القميص الذي أرتديته يبدو أنه نظيف لكن ياقته قد استهلكت من الداخل . يجب إلقاؤها بعد غسلة أو اثنتين .

عشرة جنيهات في الشهر . وقريباً جداً أبلغ الأربعين . يلزمني شراء رباط عنق جديد . ذلك الرباط الأزرق الذي رأيت في الشهر الماضي في شارع قصر النيل من الحرير الطبيعي ثمنه 250 قرشاً . يلزمني عمل ذو أجر مجز . خمسة عشر جنيهاً لإدارة الماسطوانات .. هذا غير ممكن!

ها هي الوزارة . لا شك أن تلك الجولة أراحتني . الساعة الآن التاسعة تقريباً . ماذا سيقولون لي ؟ بماذا أجيبهم ؟

هل سيجرؤون أن يقولوا شيئاً ؟ إنني أعمل كثيراً بالنسبة لعشرة جنيهات في الشهر . إلى متى أظل أجدف هكذا ، وأسبح في هذا الصمغ

!؟

ما أقدر هذا المحي ؟ شوارعه الضيقة . الجو اليوم ملئ بالرطوبة . وبصعوبة أكاد أستنشق . ها هو مكتبي .

-صباح الخير يا سادة .

تحية انتصار متحررة . لا ينبغي أن يكون الإنسان مخلصاً . لا أحد يستأهل . لكن يجب أن يأخذ المرء حذره . وألما ينخدع . ضحك قوي بدون سبب ومن وقت لآخر , أفكر بعمق متخذاً مظهرًا جاداً . وفجأة .. مظهر الأبله المشغول جداً ..

من وراء الملفات , أنظر حولي . دائماً نفس الوجوه . من المؤكد أن الحال لا يكون كذلك في بار . دائماً نفس الجدران .

رؤوس غربان وقردة وبيع وبوم .. رؤوس صلعاء , ووجوه نحيلة , بانسة , منهكة .. طيور مرتجفة من الخوف .

-لماذا وصلت اليوم متأخراً ؟

-كنت مريضاً ..

اشكروني مع ذلك أنني أتيت . أما الزميل الذي يجلس إلي جوارى , فإنني أقص عليه حكاية الإعلان . لا يريد أن يصدقها . لا أعطي له العنوان . ربما يكون طامعاً فيها , ويأخذ مكاني .

إذا عملت في هذا البار , فإن ذلك لن يضايقني في شيء على الإطلاق . إنه في مواجهة المنزل . يكفي أن أهبط السلام . أية حياة ضيقة أعيش فيها ؟ ! لقد ولدت مثل دودة , وكبرت مثل خنزير . ومن قبل أن أبلغ العشرين وأنا أجرجر هيكلي على الأرض . وذات يوم سأموت . سأموت دون ضجة ودون طبول . وحيداً . في الصمت . كطائر . لا أحد يعلم بموتي .

خمسة عشر جنيهاً للعمل بعد الظهر . إن هذا يجمع لي خمسة وعشرين جنيهاً في الشهر . إنني في كل صباح أسأل نفسي عما أفعله خلال الأربعاء والعشرين ساعة القادمة

سعادة تخبئها لي الأربعاء والعشرون ساعة ؟ لا شيء . لا شيء على الإطلاق

!

وفي المساء أناام . أناام وحيداً , مثل حيوان , من التعب . أتلاشى في المظلام لحسن المحظ أن النهار يكون دائماً أفضل .

لكن بعد ذلك بعد عشر ساعات , أبدأ في الإحساس بالملل .

العيون خادعة . والناس الذين يبتسمون مزيضون . ابتساماتهم مبتذلة .

لقد أوقعوا على في العمل عقوبات كثيرة . كم ؟ عدم انتظام في العمل . تأخر عن المواعيد الرسمية . افتقاد احترام الآخرين !

أما الزيادة في المرتب فلم أرها أبداً .

إدارة الماسطوانات . هذا أمر معقد . الموظف الذي يجلس بجواري سخر مني . قال لي :

-هذا طبيعي . ستصبح رئيس الأوركسترا في المبار !

حقيقة أن الموسيقيين يتقاضون الآن جنيهين وثلاثة وخمسة في الليلة . لكن خمسة عشر دنيهاً في الشهر : هذا ليس ممكناً . لابد أن في الأمر شيئاً . ولم تشأ المدام أن تصرح لي به !

ربما يمارسون الدعارة في ذلك المبار ؟ كلا . . فقد كان في مقدوري أن أعرف . لقد مر الآن ما يقرب من ثماني سنوات وأنا أسكن هنا .
تماماً في مواجهة المبار . ثماني سنوات لم أتلق فيها علاوة من العمل . كان ينبغي أن أحصل على جنيهين علاوة في السنة . وقد توفيت
أمي منذ وقت طويل وأبي كذلك توفي منذ عامين
وأخواتي
وَأخواتي
متكومين بعضهم فوق بعض .

ماذا أكل عندما أعود ؟ أيضاً كوسة بالبصل , وصلصة الطماطم . إنني أقشعر من الدهون , ومن صلصة الطماطم , ومن البصل . ولما أحب
الكوسة . عندما كنت صغيراً , لم أكن أستطيع ابتلاعها .. ولم أكن أستطيع أن أفعل شيئاً .

بعد مغادرتي العمل , اشتريت بخمسة قروش " جبنة رومي " . لن أكل الكوسة . لكن مثلما في العمل تماماً . نفس الوجوه في المنزل .

على المنضدة لا يتكلم أحد . ولكي لا نفسد على أنفسنا الجلسة , ينبغي علينا أن نجعل الطفل الصغير يتمخط .. وهو دائماً يتمخط . إنه ابن أختي . لم تعد لدي المشجاعة في العراك مع أحد . الجو حار . متى يأتي الشتاء إذن ؟

في الساعة الخامسة , أنزل مسرعاً . أدخل " البار الأمريكي " . ها هي صاحبتة . وإذا لم تكن قد غيرت رأيها . فماذا ستقول لي ؟ ربما تنتظر مني خدمات أخرى غير تلك التي حدثتني عنها في الصباح . كلا .. إنها ليست من هذا النوع .

-مساء الخير يا مدام .. لقد فكرت .

تتفحصني مرة أخرى من الرأس إلى القدم .

-أعتقد أن العمل سيناسبك . ثم .. إنك تتكلم الفرنسية جيداً .

مارست عملي في نفس اليوم . توجد 600 اسطوانة في المجموعة تانجو يوناني , أرجنتيني , عربي , فوكسي ترو , فالس , تينو روسي , أغاني فرنسية وإيطالية , عبد الوهاب , وأوبرتيات .. بالتدريج , أصلحتها وصنفتها . إنني بالطبيعة أحب النظام . وأحب الموسيقى كذلك . وبالنسبة لخمسة عشر جنيهاً في الشهر . ليس هذا عملاً صعباً .

عندما يطلب مني شخص أغنية ما , أضع له على الجهاز أغنية أخرى قريبة جداً منها , حين لا تكون الأغنية المطلوبة متوافرة لدي .
مثلاً: العشاق يطلبون التانجو

والتانجو هنا منذ ستة أشهر . أما سكارى العاشرة مساء فيحبون أن يسمعوا المارشات العسكرية . وهؤلاء يدفعون أعلى بقشيش . والعشاق أيضاً .. إنهم يحبون الكمنجة في المساء .

ها هو العجوز الذي يشرب البيرة ما زال هنا . إنه لا يشرب غيرها . ثلاث زجاجات في الليلة . مع كل زجاجة , يعيد طلب اسطوانته المفضلة . دائماً هي هي . إنها من أجل حب قديم . هكذا قالت لي عنه صاحبة العمل .

صاحبة العمل جادة جداً . وباستثناء الأشخاص , الذين يجب أن نطردهم من البار , من وقت لآخر , تسيير الأمور على ما يرام . البار يكسب صاحبة العمل مسرورة . امرأة طيبة . إنها فرنسية . من الريف الفرنسي . قدمت إلى مصر منذ عشرين سنة . ونحن نتفاهم أنا وهي

جيداً . وهي مسرورة مني . إنها أليفة , وتثق بي

لكنها ليست صغيرة جداً . هذا حق . وأنا كذلك . مظهرها رقيق وطيب . لقد فقدت أُمي منذ زمن طويل . العمل يسير على ما يرام . بارنا يقع في قلب القاهرة

والحرب انتهت . ولم يعد يفد علينا الكثير من العسكريين . أنا لم أعد أحب أولئك العسكريين قط . إنهم فظاظ . ومن المؤكد أن صاحبة العمل كانت لها مغامرات ، وإلا لما كانت هنا .. عندها حق . كل النساء لهن ماضٍ . ما أهمية ذلك ؟ إنني بحاجة لامرأة وأنا متأكد أنها ترغب في ذلك . سأصبح صاحب العمل

لست أكثر شراً من غيري . ومظهري محترم

إنني . الآن . أغير رباط العنق كل يوم . ولي علاقات كثيرة . ما زلت دائماً في الوزارة . وأحب الوظيفة السهلة !